الجمعة ٧ ربيع الثاني ١٤٣٨هـ
الموافق ٦ كانون الثاني ٢٠١٧م

- بإمامة سماحة السيد احمد الصافي
- نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين، الحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسيٌّ أو عرشٌ أو سماءٌ أو أرضٌ أو جانٌّ أو إنس، لا يُدرَكُ بوَهْم ولا يُقدّر بفَهْم، ولا يشغله سائل ولا ينقصه نائل. إخوتي أبنائي آبائي وفّقكم الله لكلّ خيرٍ وأخذ الله بأيديكم الى مواطن الخير دائماً.

أخواتي بناتي أمّهاتي سدّدكنّ الله وألبسكنّ لباس الحياء والعفّة، السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، أوصيكم ونفسي الأمّارة بالسوء بتقوى الله تبارك وتعالى والابتعاد عن سخطه، والزهد في هذه الدنيا فإنّنا فيها على سبيل مَنْ مضى قبلنا، ممّن كان أطول منّا أعماراً وأعمر دياراً وأبعد آثاراً، أصبحت أصواتهم هامدة ورياحهم راكدة، وأجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية، رزقنا الله تعالى العبرة من الماضين لنستصلح حالنا ويستقيم طريقنا، وفّقنا الله تعالى وإيّاكم لما يحبّ ويرضى دائماً، عظّم الله لكم الأجر بشهادة سيّدة نساء العالمين -في رواية- السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام سائلين الله تبارك وتعالى أن يوفّقنا لزيارة ما يُمكن أن يكون قبرها، وأن يقبل الله تعالى شفاعتها فينا فإنّ الزهراء شافعةٌ مشفّعة إن شاء الله تعالى، ونسأله دائماً الستر والعافية وأن يرزق بناتنا جميعاً الهداية عن طريق الزهراء وأن تكون المثل الأعلى للنساء وكذلك للرجال.

كنّا في خدمة الإمام السجّاد عليه السلام وقد مرّ بنا ما مرّ من الدعاء الموسوم بـ"دعاء التوبة"، ولعلّ الفقرات التي نقرأها اليوم هي آخر فقراتٍ من هذا الدعاء الشريف الذي بيّنه الإمام عليه السلام، وحصلت النتيجة من الداعي عندما بيّن الإمام عليه السلام المراحل التي ينتقل فيها هذا التائب إلى الله تبارك وتعالى، ونحن في كلّ مقدّمةٍ نؤكّد على هذا المطلب إقراراً له في الأذهان والقلوب وهو أنّ حاجتنا الى الله تعالى حاجة غير منتهية، ونحن دائماً يُفترض أن نكون في سباقٍ لرضا الله تبارك وتعالى، الأيّام تمشي والليالي والسنون تتبعها، وبالنتيجة سنخرج من هذه الدنيا، وسيكون خروجنا رغماً عنّا سواءً شئنا أم لم نشأ، لابُدّ أن نترك هذه الدنيا بل هي تاركةٌ لنا، ثمّ بعد ذلك سنقف بين يدي الله تبارك وتعالى ويبدأ هناك الحساب، وهذا الحساب فيه دقّة لا توجد غفلة من المحاسِب ولا يُمكن أن نزوّر ونبدّل ونغيّر فإنّنا سيسقط ما بأيدينا، نحن سنقف مع شيءٍ واحد فقط إن أحسنّاه في الدنيا سيكون منجاةً لنا. وإن لم نتزوّد منه سيكون حسرةً ووبالاً علينا ألا وهو العمل الصالح، وهذا العمل الصالح هو الذي يُفترض أن يتنافس فيه الأحياء ما داموا في هذه الدنيا، وما هذه الأدعية التي نقرأها والتي يبيّنها الأئمّة الأطهار عليهم السلام إلّا إقرارٌ لهذه الحقيقة التي لابُدّ لنا منها، وهي أنّ الإنسان لابُدّ أن يكون عمله عملاً صالحاً ولابُدّ أن يسعى دائماً لرضا من بيده جميع الأسباب وهو الله تبارك وتعالى؛ لذلك حاجتنا إلى الله تعالى ليست حاجة عرضيّة وإنّما حاجة صميميّة وأساسيّة ولها الأولويّة دائماً ولابُدّ أن نستشعر هذه الحاجة، الإنسان عندما يمشي عندما يجلس عندما ينام إذا شغله شاغل عن غير ذكر الله تعالى لابُدّ أن تكون عنده مشكلة هي مشكلة التوجّه، قد يسأل سائلٌ يقول: نعم.. هناك شواغل، الإنسان بمقتضى وضعه تشغله شواغل، هذا صحيح. لكن أيّ شاغلٍ إذا شغلنا لابُدّ أن نتيقّن أنّ من ورائه قوّة وأنّ من ورائه الله تبارك وتعالى، فإذا شغله شاغل لابُدّ أن ينتقل ذهنُه إلى أنّ الله تعالى هو بيده هذه الأسباب، فإن كان الشاغل هو همٌّ دنيا يعلم أنّ الله تعالى بيده تبدّل الحال، وإن كان الشاغل هو عبارة عن نعمةٍ جاءته ويفرح بهذه النعمة لابُدّ أيضاً أن لا ينسى أنّ هذه النعمة كانت بتسديد وتوفيق الله تعالى فهي مستوجبة للشكر، وأمثال هذه الأمور التي لابُدّ أن نقف عندها وقفة الشاكر.

في ختام هذا الدعاء لعلّ الإمام عليه السلام يريد أن يبيّن لنا نعمةً، وهي من النعم التي دائماً نتكلّم عنها لكن هذه نعمةٌ خاصّة تحتاج منّا معاشر المسلمين أن نتدبّر فيها، -إلتفتوا جيّداً- نحن معاشر المسلمين نحتاج دائماً أن نتدبّر في هذه النعمة ألا وهي نعمة بعثة ووجود النبيّ الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، في ختام هذا الدعاء الإمام عليه السلام ختمه بالتركيز على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وسأبيّن ما يُمكن أن يكون بخدمتكم ثمّ أرجع الى مطلب الدعاء، -لاحظوا إخواني- نحن المسلمين عموماً لعلّه عندنا تقصير في التعامل مع شخصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، هذه الشخصيّة لا يُمكن أن يكون لها مثيل والقرآن الكريم سلّط كلّيّات مهمّة لهذه الشخصيّة المعظّمة وجعل هذه الشخصيّة محوراً لأمور كثيرة جدّاً بحيث يدور التوفيق مدارها، والقرآن حدّد في بعض الحالات بوضوح أنّه لابُدّ أن يكون المدخل هو من خلال هذه الشخصيّة المعظّمة، وجعل ﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾[1] إذا جاء النبيّ بشيءٍ فخذوه، يعني أمرنا أن نأخذ ما جاء به النبيّ، والنبيّ أيضاً إذا نهانا عن شيء لابُدّ أن ننتهي؛ لأنّ النبيّ الخاتم أُرسل رحمةً ليس فقط لنا وإنّما للعالمين، وهذه الرحمة لا يُمكن أن يصدر منها إلّا ما يكون رحمةً لنا، فكلّ ما عندنا الآن من توجّه ومن توفيق ومن رزق ومن عيشٍ ببركات هذا الدين نحن مدينون به الى شخصيّة عظيمة هي شخصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، مع ما بذل من جهدٍ ومع ما أتعب نفسه الزكيّة في أن يوصل لنا ما أمره الله تعالى به، تعرفون أنّ مقام الرسالة مقامٌ كبير، لكن في الوقت عينه هناك صعوبةٌ في تأدية الرسالة، نحن الآن عندما نعظّم النبيّ نقول النبيّ هو سلطان الدنيا والآخرة، لكن في الوقت عينه ذلك الجهد الخاصّ الذي بذله النبيّ سواءً كان قبل البعثة أو بعد البعثة وتنبّؤه بما يكون هذه أشياء لا يُمكن أن يتحمّلها أيّ أحد؛ ولذلك بذل صلى الله عليه وآله وسلم جهداً خارقاً في سبيل أن يوصل لنا ما أرسله الله تعالى، وهذا الجهد أيضاً سواءً كان للذي يقبل من النبيّ يحتاج أن يتعلّم، والذي لم يقبل من النبيّ يحتاج أن يتحمّل ما يصدر منه؛ ولذلك كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في منتهى الخلق، وهناك قصّةٌ تنقلها الروايات وهي أنّ شخصاً اسمه ثُمامة، قال النبيّ: من يأتيني بثمامة؟ وثُمامة هذا رجلٌ آذى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

١- الحشر: ٧.